doi.org/10.52866/esj.2021.01.17.12

توظيف الأمثال
في شعر معروف الرصافي

عبد الحميد هايس مطر
جامعة الانبار / كلية الزراعة

كمال عبد ناصر
جامعة الانبار/ كلية الآداب - قسم اللغة العربية

المستخلص :

قد يكون هناك بعض الشعراء هم أكثر تمكنا وشاعرية من الرصافي، لكن ما ميّز الرصافي عن غيره، وجعل شعره اكثر انتشاراً وقتذاك ، هي شوارده وامثاله وحكمه التي تمتلئ بها قصائده ، منها الثقافة الادبية ولا سيما الامثال التي لا يمكن لأي شاعر فطن الاستغناء عنها في تعزيز نصوصه بها ، سواء كان ذلك بوجه صريح أو خفي على وفق دلالات معينة، ويهدف بحثنا الى الكشف عن اثر هذا النص في شعر معروف الرصافي تحت مصطلح التوظيف، الذي يقر بأنَّ النص الشعري تتداخل فيه نصوص أُخر يستوعبها ويتفاعل معها، مما يؤثر في بنيته ودلالته فضلاً عن موسيقاه.

الكلمات المفتاحية: توظيف الامثال، الرصافي، شعر الرصافي .

The use of proverbs
in the poetry of Maaruf AlRusafi

Abdul-Hamyd Hays Muter and Kamal Abed Naser

Abstract:

There may be some poets who are more empowered and poetical, but what distinguished Al-Rusafi, and made his poetry more widespread at the time. They are his anomalies, proverbs and wisdom that are filled with his poems, including literary culture and proverbs that no discerning poet can do without, whether in general, under certain conditions, and this aims to display staging models under functional operating conditions, Who acknowledges that the poetic text is intertwined with other texts, comprehends and interacts with it, Which affects its structure and connotation.

Keyword: Employ proverbs, Al-Rusafi, Rusafi poetry.

التمهيد :

ان الحِكم والامثال العربية رصيد ضخم من الحكايات والقصص والافكار تناقلتها الالسن شفاهاً ، ثم دونت في مصنفات ادبية خاصة ، وقد افاد منها الادباء والكتاب على امتداد عصور الادب العربي ، ومن هنا تعامل الرصافي مع هذا الموروث الثري بمهارة وذكاء وتمكن من انتقاء الانموذجات التراثية منه ولا سيما تلك التي تحمل الدلالات البدوية الموغلة في القدم ذات الاستعمالات القليلة والنادرة، كما سنرى ذلك في استعراضنا لبعض منها، مضيفاً عليها لمسات عصرية تخفف من غرابتها وتزيل عنها بعض اثار الابهام والقدم.

ان موهبة الشاعر الفنان هنا تكمن في قدرته على توظيف تلك الحِكم والامثال في نسق شعري حديث ينسجم في دلالته المعنوية والنفسية مع الدلالات الاصلية التي تضرب من اجلها تلك الامثال وهذا ما نجح فيه شاعرنا بشكل لافت للنظر من خلال حرصه الشديد على استثمارها بما ينسجم مع تجاربه الشعرية المتعددة .

احتلت الامثال مكانة كبيرة في شعرنا العربي من الجاهلية الى يومنا هذا ، وهي احدى الوسائل الفنية التي استثمرها الشعر العربي قديماً وحديثاً، ليتمكن الشاعر بوساطتها من تجسيد رؤياه الشعرية اذ ان المثل يمنح الشاعر قدرة على افراغ الطاقة النفسية والفنية الكامنة فيه .

لقد أفاض العلماء في الحديث عن الامثال والحِكم فلسنا بحاجة الى ان نردد ما قيل ، فالمثل لا يختلف من لغة الى لغة اخرى ولا من ادب لأخر ، فأكثر المعاجم العربية تشير الى ان المثل (provebe) هو جملة خيالية ذائعة الاستخدام ، تدل على نطق التجربة او النصيحة او الحكمة ، يرجع اليها المتكلم عند الحاجة اليها ، لأنها تصور حياة المجتمع بصدق ، ودقة معناها وتصيب الغرض المنشود ، وقديماً عرفوا المثل بأنه ((حكمة شعبية تتداول على الالسنة ، او جملة غالبا ما تكون قصيرة ، تعبر عن حدث ذي مدلول خاص، لكن يبقى على المجتمع تخمينه)).[1] ويبقى يضرب في حالات مشابهة لمورده الاصلي ، كما يظل مثلا يضرب ، وان جهل اصله ، ولا يتغير لفظه في أية حاله من الحالات استعماله، ولكنه يستعمل مجازياً في سياقات مختلفة، غير ان علاقته بتلك السياقات الخاضعة لقواعد دلالية خاصة .

وبعد فمن اجل ان يتوصل الانسان مع ما يحيط به من امور كثيرة ، واسرار مكنونة ، لا يمكن الالمام بها جميعا ، او اهمية ما هو كائن وما سيكون ، فقد ضرب الله تعالى في كتابه الكريم الامثال للناس، لكي يفهم ما يدور حوله من امور الكون ومدركاته ، ويحكم العقل في كل ما يقال ويذاع على مسامعنا فقال تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[2] فوجه بهذا الخطاب عقول الناس للتفكر في اسرار الحياة ، ومكنوناتها التي تدور حوله واخذ العبرة والحِكم منها .

ولقد اهتم الباحثون والدراسون في الادب العربي بالأمثال قديماً وحديثاً، لأنها تعتبر مهل من مناهل الشعر ، وقدرتها على ايصال المعاني بإيجاز ودقة في التعبير والتشبيه، وبذلك يكون المثل اكثر فهما وأشد تأثيراً واقدر على الاستماع والتقبل من سامعيه.[3] ولأهمية الأمثال في حياتنا يجب الاشارة

(1) ينظر : مقارنة دلالية بين الامثال العربية والامثال العامية : 1 .

(2) سورة الحشر: الآية 21 .

(3) ينظر المثل في الشعر الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة : 9 .

بشكل مختصر الى ماهية الأمثال من الناحية اللغوية والادبية للتعرف عن كتب على أحوال الأمثال بصورة أدق .

المثل لغة :

ذكر اللغويون معاني عديدة للجذر اللغوي (مثل) الذي اشتقت منه التسمية (الامثال) منها: (المِثل: الشبه. يقال مِثل ومَثل وشِبه وشَبَه بمعنى واحد ، ... والمَثل والمثيل : كالمِثل والجمع امثال ، ... والمَثل: الشي الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مِثله) .[1] وجاءت لفطة ((مثل)) في قوله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2] فإنه سبحانه وتعالى ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم فوصفهم بعبودية الظاهر وبالباطن جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق أصم عن سماعه فشبهه بمن بصره أعمى عن رؤية أحق الأشياء وسمعه أصم عن سماع الأصوات والفريق الآخر بصير القلب سميعه كبصير العين وسميع الأذن فتضمنت الآية قياسين و تمثيلين للفريقين ثم نفى التسوية عن الفريقين بقوله ((هل يستويان مثلا)) .[3]

المثل اصطلاحاً :

الأمثال هي ((تراكيب لغوية ذات دلالة خاصة تُفهم من مجموع الالفاظ التي وضعت في تركيب خاص بها يتداوله الناس من دون تصدَّقٍ فيه ، الا قليل، ويعد قالباً لفظياً ثابتاً)) .[4]

ونلحظ ان المعنى الاصطلاحي للأمثال مستمد من الواقع اللغوي لمادة (مثل) التي ذكر اللغويون لها معاني عديدة كانت المعجمات محلها الا ان بن منظور (ت 711 هـ) ذكر في معجمه كل المعاني التي تضمنتها اغلب المعجمات السابقة وأضاف إليها معاني أخرى . واهم هذه المعاني التي ذكرها: الشبه، والصفة ، والعبرة ، والحديث نفسه، والمثال.[5] وللأمثال أهمية كبيرة في الدرس اللغوي ، فقد عدَّها علماء اللغة والنحو والشعر من مصادر الاستشهاد اللغوي .[6] ، وهي تمثل الواقع اللغوي للمتكلمين خير تمثيل ، فالنتاج اللغوي لأبناء أي جماعة لغوية إما ان يكون شعراً او نثراً ، ولما كانت لغة الشعر خاصة تراعي فيها قوانين الشعر الخاصة من الوزن والقافية وتراعي الضرورة الشعرية ، ويبقى أنواع الكلام المنثور يمثل لغة الكلام والاداء اللغوي .

وحرص علماء العربية على جمع الامثال، وتبويبها، وشرح الامثال وتفسيرها وما ورد فيها من الفاظ وذكر مناسبة المثل وقصته، وذكر اسم صاحب المثل او قائله ان تمكنوا من معرفته، فضلاً عن تناولهم الاقوال المأثورة التي تمَثل بها الناس في خطابهم، فصارت هذه الاقوال المأثورة امثالاً بعد ان استعملها الناس في كلامهم اليومي الأمثال، واشار اللغويون الى ان الامثال قوالب لفظية جاهزة او تراكيب ثابتة ، قال السيوطي ((الامثال لا تغيَّر، بل تجري كما جاءت ، فالعرب تجري الامثال على ما جاءت ، والامثال قد تخرج عن القياس، فتحكى كما

(1) لسان العرب (مثل) : 11 / 610 – 611 .
(2) سورة هود : الآية 24 .
(3) الأمثال في القرآن : 1/ 13.
(4) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : 194 .
(5) ينظر لسان العرب (مثل) : 11/ 612 .
(6) ينظر مدرسة الكوفة : 52 ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة : 194 .

سُمِعت، ولا يطرد فيها القياس)).[1] وأهمية الامثال تحدث عنها علماؤنا الاوائل ومنهم ابن المقفع (ت 138 هـ) الذي ذكر اهمية المثل فقال: ((اذا جُعِل الكلام مثلاً كان اوضح للمنطق ، واثبت للسمع ، واوسع لشعوب الحديث)).[2]، وقال ابراهيم النظام (ت 538 هـ) ((يجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: ايجاز اللفظ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة)).[3]

وقد امتازت الامثال بخصائص عامة في بنيتها اللغوية والمعرفية منها :

1. **اصالتها** : فهي عربية المنشأ، مع انها ليست خاصة بالعرب فقط ، لأنها تنماز بالقيم والتقاليد الاصيلة ، لتلك الشعوب .
2. **واقعيتها** : فهي تنماز بواقعيتها التي افضتها السيرورة في ما بينهم ، ذلك لتميّز الحياة المجتمعية العربية عموماً بالواقعية .
3. **بلاغتها**: كما تنماز أمثلتهم بإيجاز اللفظ وتركيزه، وبإصابة المعنى وبعد المغزى.[4]
4. **موسيقاها** : لا تخلو من الرشاقة اللفظية، ففيها جرس موسيقي وتناغم بين الفاظها وتناسق بين الجمل والتراكيب، وتجانس بين الاحرف، وتأتي الأمثال أما على السجع والفاصل، او من اختيارها للأحرف المتجانسة ضمن الكلمات، والكلمات المتوافقة ضمن الجمل، كما تنماز بالتوازن فانقسم المثل الى شطرين متوازنين مما جعل للجمل ايقاعاً مناسباً فيزيد من جمالية ذلك السجع[5].
5. **اغراضها**: تعكس بصدق مشاعر الشعب واحاسيسه، وامالـه، وآلامه، وافراحه، واحزانه، وتفكيره، وفلسفته، وحكمته، ومن خلالها نستكشف اراءه في مختلف شؤون الحياة وموقفه منه ونظرته الى الكون وتفسيره لظواهره .

وهناك أمثال كثيرة بنيت على خرافة او اسطورة او حكاية من الحكايات المختلفة الدائرة على السن الناس وهناك من يصنف الامثال وفقا للغة التي وصلت الينا بها ، او وفق العرض الذي قيلت من اجله (علمي ، اجتماعي ، ديني ، سياسي ، اقتصادي ، ...) او مبني على اخلاقيات وضوابط اجتماعية بأفراد المجتمع لإتباعها ، لان الحكمة والنجاة والربح ، هي احد وأعظم الأساليب التربوية المتبعة في التعليم والتي ترسم بمجموعها صورة في الوجدان الشعبي.[6]

لقد عبرت الامثال عن مواضيع مشتركة كالكرم، والشجاعة، والتوجيه، والنصح والارشاد واهتمت الامثال بروح الجماعة، والابتعاد عن التفرد فكان نفس طويل في لغة التعبير، الأمثال لم تضرب الا رد فعل عميق لما في النفس من مشاعر واحاسيس، نتيجة للمؤثرات التي دعت الى ضرب المثل والحكمة.[7]

فالأمثال صورة كاملة مثالية ، صالحة لان تصف العلاقات القائمة بين افراد أي مجتمع في أي زمان او مكان ، فالإنسان لا يستطيع بطبيعته ان يعيش منفرداً عن المجتمع، بل لابد ان ينخرط داخل المجتمع من خلال العلاقات سواء كانت سلبية ام ايجابية .

ومن هنا نرى العربي داعيا في صور متباينة إلى التمسك والتسلح بالعلاقات الطيبة الحسنة بين

(1) المزهر في علوم اللغة وانواعها : 1 / 487 – 488 .
(2) مجمع الامثال : 1 / 6 .
(3) المصدر نفسه : 1 / 6 .
(4) ينظر علم اللغة للقارئ العربي : 285 .
(5) ينظر : التعبير النفسي في الامثال : 149 .
(6) ينظر : الخصائص البنيوية للمثل الشعبي : 8 .
(7) ينظر : التعبير عن النفس في الامثال : 156 .

الانسان ومجتمعه ، ليعم الخير والنفع ونبذ وحذر ونهى في صور مختلفة عن العلاقات السلبية التي تهدم المجتمع فضرب الامثال لمواكبة تطور المجتمع ومسايرته في بنائه والتوجيه للمثل وهذا يدل على ان المجتمع العربي القديم ادرك مقومات بناء المجتمع المثالي، وادرك ما نحن بحاجة ماسة اليه اليوم ، فلا تستقيم حياة المجتمع الا بالعلاقات الحسنة وبالابتعاد عن العلاقات السلبية ، فما أروعه من مجتمع مثالي .

نبذة عن حياة الشاعر

كتب الكثير عن شاعر العرب الكبير معروف الرصافي ، وتناول الكتاب جوانب مختلفة من سيرته وشعره ، وعلى الرغم من كثرتها وتنوعها ، فقد بقيت حلقات مهمة من حياة الشاعر بعيدة عن اقلام الكتاب لأسباب كثيرة .

فالرصافي هو معروف بن عبد الغني البغدادي المولد والمنشأ ولد سنة 1875 م وقد لقب بالرصافي نسبة الى مدينة الرصافة في بغداد . تلقى العلوم في الكتاتيب الاهلية في تلك المدينة على يد الملالي (جمع ملة) ، ثم دخل المدرسة الرشيدية العسكرية، ولم يكمل الدراسة فيها ، واكمل دراسته في اللغة العربية وآدابها ، وظهرت موهبته الادبية آنذاك، عين أستاذاً للأدب العربي في مدارس بغداد، وفي عام 1980 م عين في المدرسة الشاهانية لتدريس اللغة العربية ، وانتخب نائباً في مجلس المبعوثان عن لواء (المنتفق) وبعد الحرب العالمية الاولى ، عاد الى بغداد، وعين نائباً لرئيس لجنة الترجمة والتدريب ، واصدر جريدة الامل اليومية سنة 1923 م لكن هذه الجريدة لم يكتب لها النجاح اكثر من ثلاثة اشهر ، انتخب عضواً في مجلس النواب العراقي خمس مرات خلال ثمانية اعوام وفي سنة 1936 م ، زار مصر واطلع على معالمها وادابها[1].

وعندما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة 1941 م انظم اليها ونظم اناشيدها ، وبعد فشل الثورة ، انكفأ على نفسه وقبع في بيته لا يفارقه ، الى ان توفاه الله سنة 1945 م ، ودفن جوار الشاعر العراقي الشهير الزهاوي .

الأمثال عند الرصافي

سنتحدث في بحثنا عن توظيف الامثال في شعر الرصافي ، فقد وجدنا ان الشاعر كان مكثراً في تضميناته الشعرية ، فاتخذ منها حجة له في تدعيم شعره وقوة سبكه والاستفادة منها في رفد واغناء معانيه ، وتعزيز كلماته الشعرية وبث الصورة الحية والموحية في داخل نصّه الشعري .

لذلك راح الرصافي يسترفد نصوصاً عديدة، ومتباينة المصادر والمنابع يستفيد من الامثال في رفد تجربته ونصه الشعري وتعميق رؤيته ، والاستفادة منها تعبيرياً ولغوياً في آن واحد .

ولو تفحصنا جهود الرصافي للوصول الى توظيفه للأمثال لوجدناه قد أفاد إفادة عظيمة منها، وهذا يتضح من خلال التضمين الكامل المباشر لنص المثل، او التصريح الجزئي له، او المراوحة بين الايحاء والتلميح او الايجاز ، لذلك شغل التفاعل المثلي مع شعره مساحة واسعة ، فأخذت الأمثال مساحة واسعة ومرموقة، ولا سيما الامثال التوجيهية، والتي تحمل في طياتها قصصاً وعبر عادات العرب وتقاليدها .

التضمين التصريحي :

ونعني به استمداد الشاعر من الامثال بشكل صريح وواضح دون تغيير ألفاظ المثل واستعماله داخل السياق الشعري دون نقص في المعنى او

(1) ينظر : الشعراء العرب في القرن العشرين ، عبد عون الروضان ، 513 .

المفردات، ويركز هذا النوع من التضمين على الموسيقى الخارجية للأمثال، وهذا النوع من التضمين يكون مقيداً بقيود تجعل الشاعر لا يجد راحة ولا مرونه في عرضه للموضوع الذي يريده.[1]

ولكن الرصافي يجسد مذاهب مختلفة ومتمايزة في التوظيف تتراوح بين التضمين الكامل والمباشر لنص المثل او التصريح الجزئي له او المراوحة بين ذلك ، وهذا الامر طبيعي، لان الامثال لها شان كبير في حياة الناس، ولان معانيه موجهة حول الدنيا والزهد فيها وذكر الموت والعذاب والاخرة والثواب والعقاب والقناعة والتوكل والرضا والعدل والتقوى... وكلها معاني تدور عليها الامثال المضروبة، ويفصل القول فيها ، واصبح المثل بؤرة مركزية فنية مولدة للكثير من الإيحاءات والافكار، ويطول بنا المقام لو رحنا نتتبع مصادر كل معنى شعري في قصائده ولا باس بمجموعة من الامثلة التي تدل على ذلك كما في قوله :

فهم كمن فرّ من قَطر يُبلّله
ثَم انْتحى السيل أو جاء الميازيبا
ولم تزل كل يوم من سياستها
تُلقي العراقيل فيها والعراقيبا
هل يأمن القوم أن يحتلّ ساحتهم
جيش يدُكّ من الشام الأهاضيبا[2]

لقد وظف الشاعر المثل، توظيفاً فنياً، فأصبحت كنايات تشير الى اشخاص غير المعنيين في نصه الشعري ومرجعية الشاعر هنا الى المثل القائل (فر من القطر ووقع تحت الميزاب)[3]، فشبه الحكومة العراقية مثل الذي يفر من الشيء ليقع تحت شيء اكبر منه او تحت الزراريب التي ترمي الماء بصورة كبيرة اكثر من المطر، فنلاحظ الرصافي قد استفاد من المثل مضمنا البيت على ما يوافق الوزن والقافية ، فاعتمد الشاعر على المزاوجة لرفد التجربة الشعرية، فاستحضر الشاعر هذا المثل للفت الانتباه وتوسيع افقه الشعري وأغناء تجربته ، فاراد التخلص من شدة فوقع في اشد منها، فأرد الهرب من الموت فوقع في الموت المحقق. فصور لنا في بيته ما اسميناه بـ (القيادة والنفاق السياسي) فصور لنا هذا التعبير نفاق الحكام ومدى استغلال الناس من قبل (الزعيم) للسطو على قلوب الناس وهذا الامر ملموس منذ القدم، كما نلمسه الان ، فرسم لنا صورة للسياسة التي تنتهجها الحكومة لتستمر في الحكم وكيف ارتمت في احضان الانكليز لحمايتها، ولكنها عكس ذلك فرّت الى الموت ووقعت تحت سيل المزاريب بمعنى ان الشاعر حولها الى رمز تحمل الدلالات الاصلية مضافاً لها ما تحويه من دلالات جديدة ، فضلاً عن فائدة التكتم التي تقي الشاعر من ان يتعرض الى مخاطر التصريح في حال كون المعرّض به ذا سلطة وسطوة ، والشاعر في البيت الاخير كانه قد ياس من هذا الحكم على قرب عهده ، وهذا ملمح من ملامح الشاعر بالغربة عن السلطة ، لان المشاركة السياسية عملية اجتماعية ديمقراطية ، يلعب من خلالها الفرد دوراً فاعلاً في وضع الاهداف العامة للمجتمع ، كما يسهم في وضع الوسائل لتحقيق تلك الاهداف العامة للمجتمع كما يسهم في وضع الوسائل لتحقيق تلك الاهداف كالانتخابات والترشيح وممارسة العمل السياسي، بعيداً عن العنف والاقصاء، ومن أمثلة استخدامه للأمثال العربية القديمة ذات الدلالة البدوية النادرة قوله :

(1) ينظر : المثل في الشعر الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة : 133 .
(2) ديوانه : 2 / 591 .
(3) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: 1/ 378، المرزاب: قناة يجري فيها الماء وتجمع على مازريب، المُنَجَّد: مادة المزر: 330.

أحبّ صراحتى قولاً وفعلاً
وأكره أن أميل إلى الرياء
فما خادعت من أحدٍ بأمرٍ
ولا أضمرت حَسواً في ارتغاء
ولست من الذين يرون خيراً
بابقاء الحقيقة في الخفاء[1]

الذي حاول فيه نقل دلالة المثل الجاهلي (يُسرُّ حسوا في ارتغاء)[2]. الذي يضرب لمن يحاول ان يستغفل الاخرين ، لكن شاعرنا تمكن من ان يقربه من حياتنا المعاصرة من خلال قوله (فما خادعت) فصار المثل الجاهلي يعنى انتقال الامر من حال الى حال اخرى . وصار معنى المثل انه لا يضمر قول الحقيقة وابقائها في الخفاء مهما بلغ الأمر .

ونلاحظ الرصافي في موضوع أخر يضمن المثل (الحب أعمى). في شعره اذ يقول

قالوا عشِقتَ معيب الحسن قلت لهم
كُفّوا الملام فما قلبي بمُنزَجر
ما العشق إلاّ العمى عن عيب مَن عشِقَت
هذي القلوب ولا أعني عمي البصر[3]

لقد حاول الشاعر بكل ما أوتي من قدرات فنية واسلوبية وتعبيرية ان يوظف معنى المثل القائل (حبك الشيء يعمي ويصم) [4] ، أي ان حبك للشيء يعميك عن مساوئه ، ويصمك عن استماع العذل فيه ، تمثل المفردات الشعرية السابقة استهلالا وصفياً يلح على قضيتين في معرض حديثه عن الحب الذي يربط الانسان مع افراد مجتمعه ، والعربي بطبيعة حياته بحاجة ان يحسن صنع هذه العلاقة فبدون الحب والصداقة ، يصعب عليه ان يعيش حياته بشكل طبيعي ، فالقلوب تعمى اذا اصابها الحب ونعني به (العشق) فلا تفرق بين السوء والخير ، فيتساوى لديه الخير والشر على حد سواء فلا يميز ما هو خير وما هو شر، فالتراكيب هنا تجري على طرفي نقيض فتعمى بصيرته ، فتمكن الشاعر من نقل الدلالات الخاصة إلى الدلالات العامة ، ونلاحظ الرصافي ادى المعنى دون تكلف او تعقيد ، فتضمينه للمثل بطريقتي الدلالة واللفظ فالدلالة بأخذ المضمون وهو (العشق) لعلمنا ان الحب اعمى، أما اللفظ فقوله (أعمى)، وبناء المثل ومعناه بما يلاءم حالته النفسية التي أراد ان يبينها من خلال رؤيته الشعرية، فسلط الضوء من خلال المثل المطروق ليبين مدى العلاقات الانسانية فلا يوجد انسان كامل الاوصاف، او محتوي لجميع الفضائل .

فالشاعر هنا يعالج انفعالاً عاطفياً ، توصل اليه بأساليب متباينة ، يطفو على لهجتها الانفعال العاطفي المحض، فنلاحظ انفعال الشاعر العاطفي هو انفعال تقليدي في هذه الابيات ولا يختلف عن من قبله من الشعراء القدامى في استعماله للأساليب في الشعر القديم ، وبما ان المعاني مطروحة في الطريق ، كما زعم الجاحظ ، فقد استعمل الرصافي المعاني المطروحة امامه ، فقام على التجديد في نتاجه الشعري فالشاعر غشى المعاني باللطائف، والاستعارات البديعية التي استعارها الشاعر من الامثال[5]. واستعملها بما يخدم الموضوع الذي يطرحه من خلال الابيات الشعرية . ويواصل الرصافي تضمين المثل تصريحية كما في قوله :

قد قضى الكاظمي وهو جدير
أن تعزّى في موته الشعراء

(1) ديوانه : 1 / 276 .
(2) مجمع الامثال : 1/ 89 ، ينظر جمهرة الأمثال ، العسكري : 2 / 420.
(3) ديوانه : 1 / 240 .
(4) مجمع الأمثال : 1/ 78 .
(5) ينظر : احمد شوقي ، امير الشعراء : 65 .

عـــاش منســيّ عـــارفيه ولـمـــا
مـات فـاضـــت بـنـعـيـه الأنبـاء
أيـــها النـــادبـــون غيـريَ غـــرّوا
برح اليـــــوم للبيـــــب الـخفـاء
يكـــــرم الميت بالثنـاء وتـحيـا
عـنـدكـــم فـي الـمهانـة الأحيـــاء (1)

فنراه يتكئ على المثل القائل ((برح الخفاء)) (2)، لرسم صورة مطبوعة مبدعة في مخيلته ، فقد تمكن من تضمينه هذا الارث المشاع والموجود في التراث الادبي (برح الخفاء) . ليدل على انكشاف الامر ووضوحه ، فبعد وفاة الكاظمي الذي ظلمه الناس في حياته ولم ينصفوه في موهبته الأدبية، إلا بعد وفاته وتناسوا أدبياً عبقرياً ولكن بعد فوات الاوان فعاتبهم الرصافي عتاباً شديداً بعد الوفاة ، فأشار إلى المثل بشكل موجز ليس فيه إطناب وإسهاب فتشير اليه المكرمات ، ويتجلى تضمين الرصافي هنا في تجسيد حقيقة الموت الذي لا مناص منه، وان طريق الموت محتوم لا مهرب منه فالكل امامه في العجز سواء فعصف به الموت وقضى على حياته وسقط نجمه اللامع ازاء تلك الحقيقة السرمدية، وانكروه الناس في حياته واكرموه بعد مماته .

ولا شك ان الرصافي يستخدم المثل العربي داخل نصه الشعري بوعي ومقصديه ، ولا يقحمه اقحاماً، انما يأتي بطرق سهلة واضحة في التوظيف ، ونلمح ذلك من خلال المثل الذي جاء في عجز البيت ، مثبتا وداعما لصدر البيت حيث أتى بالمثل كاملا دون نقص في ما يخل بألفاظه فالشاعر استعمل مثلا موجزا سائراً ، ليس به اطناب او اسهاب، والمثل هو ((دون ذلك خرط القتاد)) (3) . فاستلهم دلالته المعنوية المتمثلة بالأمر الممانع منه ، او انه يضرب للأمر دونه مانع ، فقال في ذلك :

تَغَـرَّب ضارباً فـي الأرضَ يبغـي
مـــَدىً مـن دونـه خـرط القتـاد
فأوغل فـي الـمفاوُز والمَـوامـي
وطَـوّف في الـحواضر والبـوادي (4)

يرسم لنا الشاعر لوحة شعرية صادقة ، ينفذ من خلالها الى شجاعة قومه في طلب العلم في بقاع الارض ولو كان هناك موانع كثيرة ، فطرق كلمات المثل العربي دون أي تغيير ليفصح عما يموج في داخله ، والتعبير عن حالة اراد ان يعطيها بعداً فنياً من خلال اتيانه بمفردات المثل الدالة على الممانعة وكثرة المتاعب التي تواجه الذي ينوي السفر للعلم والرزق .

ومن الامثال التي استعملها الرصافي في شعره ((اذا رأيت الفقير يعدوا فاعلم انه في حاجة الغني))(5). في قصيدته التي ثار فيها على الغني وعالج موضوعات اجتماعية ، فكان لا يترك منظراً يؤثر فيه الا ورسمه بريشته رسماً حزيناً ، يترك الاثر البالغ في النفس الانسانية ، لما فيه من اسى وصورة حزينة، لذلك الفقير وحاجته الى الغنى وقد تعاون عليه الفقر والدهر في ان واحد (6) . فقال :

عندنا اليـوم للحيـاة نظـام
قـد حـوى كـل باطـلٍ ومُـحال
حيث يسعى الفقير سعي أجير
لغنـيّ مستـأثـر بـالـغـــلال (7)

ففي هذا البيت يوضح مدى ما شغل به الرصافي من التفكير في الانسانية وما على الانسان

(1) ديوانه : 2/ 512 .
(2) مجمع الامثال : 1 / 95 .
(3) مجمع الأمثال : 1/ 265 .
(4) ديوانه : 1 / 196 .
(5) ينظر : مجمع الامثال : 2/ 356 .
(6) ينظر : دراسات في الشعر العربي المعاصر : 65 .
(7) ديوانه : 1 / 262 .

لأخيه الإنسان من التزام اخلاقي وانساني في الخير الذي يسلكه في مجال حياته .

ونلاحظ أن الرصافي يختار ما يناسب تجربته الادبية من امثال تنطبق وحالته التي يريد ايصالها الى القارئ لشعره ، فالشاعر يحاول ان يوظف المثل بما ينسجم وانفعالاته النفسية ومزايا تجاربها الشعرية ، وبما ينسجم وتطلعاته ورؤاه في توظيف الفاظ الامثال ، فالرصافي لا يتاجر في اشعاره وأرائه ، ولا يسعى لمنافعه الشخصية [1] . فقد استفاض في نصوصه الشعرية من هجاء ساسة الناس وقادتهم ولا تلومه في ذلك لومة لائم ومن ذلك تشبيه الصغار الذين ساسوا الناس بالذنب الذي أصبح رأساً كما في قوله يرثي محمود الالوسي بعد وفاته :

حتى تقدّم ما في القوم من ذنبٍ

فصار رأساً وصار الرأس في الذنب

وبات يحسو الطلا بالكأس من ذهب

من كان يشرب رنق الماء بالعلب [2]

فعندما نتأمل الطريقة التي ضمن الرصافي فيها المثل العربي القائل (إلحاق الرأس بالذنب)[3]، نلحظ ان الرصافي ادى المعنى دون تكلف او تعقيد فتضمينه للمثل جاء بطريقتي الدلالة والمعنى مع تغيير في بعض ألفاظ المثل ، منها كلمة (إلحاق)، وكنى به الحالة التي سادت المجتمع وقتذاك ، سيادة أراذل القوم الذين لا علم لهم بالسياسة ولا بالثقافة وصاروا يتحكمون بمصير الناس والمجتمع، فضيعوا أنفسهم وضيعوا الناس ، فكلهم مجرد أناس نفعيين ينفذون أجندة خارجية بعيدة عن مطالب الناس، مما حدا بالرصافي لإتيانه بهذه الألفاظ القوية، لكي تناسب هؤلاء الجهلة والظلمة.

وقد يتفنن الشاعر في انتقاء الامثال العربية القديمة ولربما حاول استجلاء تراكمات ثقافية مخزونة من جراء قراءاته فتأتي الومضة الشعرية مع الاستذكار فيكون النص مفعماً بروح التراث ومستحضراً بعض الامثال النادرة كما حصل في قوله :

فنحن أوفى الورى بالعهد شنشنةً

ونحن أرفعهم في المكرمات ذرا [4]

مستلهماً دلالة المثل العربي القديم (شنشنةُ اعرفها من اخزم) [5] . ومحاولًا الافادة من تشابه الدلالات المعنوية بين ابيات قصيدته وبين ذلك المثل العربي القديم . اذ وضفه لبيان زيف الأنظمة والدساتير في ذلك الوقت واظهار القهر والتسلط اللذين كانا يثقلان كاهل الشعب ويشكلان عائقاً بوجه التحرير والاستقلال .

لقد كانت مرحلة الحكم الوطني في العراق ثرية بالأحداث الجسام والهزات والانتفاضات الشعبية ضد المعاهدات الظالمة والاختراق السياسي والاجتماعي ، فكشف لنا الرصافي في شعره القناع عن الصورة الحقيقة التي وصلت اليها بغداد وقتذاك، وما افرزته السياسات التعسفية من كبت الحريات، وهدر للحقوق على ايدي الحكام والسلطة، فاراد ان ينبه الشعب بعدم الاستهانة بالأمور الصغيرة، لأنها هي مفتاح الشرر الاكبر الذي من خلاله ذاقوا الذل والهوان بعدما كانوا سادة القوم فقال :

لا تُهملوا الضرر اليسير فإنه

أن دام ضاقت دونه الفلوات

فالنار تَلهَب من سقوط شرارة

والماء تَجمع سَيْله القَطَرات

(1) ينظر معروف الرصافي ، حياته وادبه السياسي : 97 .
(2) ديوانه : 2 / 464 .
(3) المثل السائر 1/ 212 .
(4) ديوانه : 2 / 487 .
(5) مجمع الأمثال :1/ 361 .

لا تستنيموا للزمان توكُّلاً

فالدهر نزّاعٌ له وثبات (1)

واضح تماما ان الشاعر الرصافي قد اجاد في اختياره للمثل والحادثة التي اراد ان يبينها، فاخذ ينم عن مضامينه ودلالته ومفرداته ، ويتعانق مع رؤاه الشعرية من ان الضرر القليل يأتي بضرر كبير، إذا لم يحسب له حساب فأشار إلى هذا المعنى بالمثل القائل (اليسير يجنى الكثير) (2) .

ومن يقرا شعر الرصافي يرى كثرة الأمثال العربية التي طرقها ، فلا يكتفي بطرق المثل المباشر فحسب ، بل يلجأ إلى تكثيف دلالاته واعادة بنائه في بنية النص الشعري ليصبح نصاً جديداً كما في المثل العربي القائل (أهدى من القطاة) (3) ، فقد ضمن المثل في قصيدته التي وصف بها مرتكبي الفواحش الذين لا يتوانون في فعل المعصية ، واصفاً ذهابهم الى الفاحشة وكأنهم مثل القطاة التي تضل طريقها فقال :

من كل مرتكب الشنيع ولم يكد

يثنيه عنه إذا لحاه اللاحي

أهدى بطرق المخزيات من القطا

وأضلّ ممَن آمنوا بسجاح (4)

ومن خلال القراءة المتفحصة لديوان الرصافي وجدنا اكثر شعره حكماً وامثالاً لتوجيه المجتمع الوجهة الصحيحة ، فكان بمثابة مصلح اجتماعي يعمل عمل الدعاة والخطباء والوعاظ، في ارشاد الناس الى السجايا الحميدة والالتزام بالعلم والتقاليد الموروثة(5)، فقد امتلأ ديوانه بالأمثال العربية الفصيحة والعامية، التي كشفت لنا الحجاب عن هذه المعاني، وليعبر عن اهداف وغايات في داخله، يريد ايصالها للناس فكانه يعيش في دنيا الواقع المحسوس، فيعم بين الناس الصدق والعدل والمساواة فضرب الأمثال الدالة على ذلك، فلا يكون هناك بائس ولا بؤس ، ولا حاقد ولا حقد، فالناس سواسية (6) .

ومن الامثال الصريحة التي استعان بها الشاعر في التعبير عن المعاني الدقيقة في موضوعاته المختلفة قوله :

كأني بين أطلال المغاني

أسير عضّ ساعده الوثاق

حديد بارد في اللوم قلبي

فليس له إذا طرق انطراق (7)

واضح ان الشاعر قد وضع المثل العربي القائل (تضرب في حديد بارد) (8) ، نصب عينيه فاخذ الشاعر ألفاظ المثل دون الاخلال بالمعنى المراد، فلا يحتاج البيت لجهد لتأويله ومعرفة مراده من القارئ، مستلهماً دلالته التي تنص على انه يأبى الظلم والاستبداد ونفسه تعشق الحرية ، فلا يخاف من سلطان او حاكم .

ومما لا شك فيه ان الشاعر الرصافي قرأ الأمثال قراءة متفحصة قامت على استيعابها واستثمارها بصورة دقيقة ، مستفيداً من تحويرها ومن معانيها، إذ يعمد الشاعر الى الامثال التصريحية ويضمنها شعره ومنها المثل القائل (ليس الخبر كالمعاينة)(9)، فقد وظف المثل وجعله نقطة شعورية ينطق بها النص الشعري كما في قوله :

(1) ديوانه : 1 / 162 .
(2) مجمع الامثال : 2 / 427 .
(3) ينظر المصدر نفسه : 1/ 412 .
(4) ديوانه : 2 / 868 .
(5) دراسات في الشعر العربي المعاصر : 62 .
(6) ينظر المصدر نفسه : 59 .
(7) ديوانه : 2 / 837 .
(8) مجمع الامثال : 1 / 125 .
(9) المصدر نفسه : 2 / 182 .

كم خلّد الدهر من أيامهم خبراً
زان الطُروس وليس الخُبْر كالخَبَر
أبكي على أمة دار الزمان لها
قبلاً ودار عليها بعدُ بالغِيَر (1)

ولعل نظرة بعيدة الغور تظهر من هذين البيتين ان الرصافي تحدث عن ايام الدهر وما تخبره من أناس خلدهم الذكر الحميد لهم ، ونلاحظ إن الشاعر قد علل هذه النظرة لان الاخبار التي تصل اليك دون التحقق منها تجعل المرء يتخذ موقفاً دون علم مسبق (2) ، فالخبر الذي تعاينه وتراه بأم عينيك هو الذي يكون يقينا وصادقاً .

ومن خلال قراءتنا لديوان الرصافي يتبين ان الابيات الشعرية التي تحتمل مثلين ، تكون اكثر وفقاً واعلق في النفس من سواها وهذا ما وجدناه في شعره الذي ضمنه لمثلين استوعبهما داخل نصه الشعري وهما (لكل دهر رجال) (3) ، والمثل (انه لألمعي) (4) ، يقول :

فتى غمدت منه المنون مهنّداً
وأيّ حسام ماله الدهر غامد
يعدّ بألف من رجال زمانه
على أنه في الألمعّية واحد (5)

تكشف المفردات الشعرية أن الشاعر رسم لنا صورة ، بقلمه الثائر، نستطيع ان نستلهم منها ما كان يؤمن به الشاعر ويبتغيه من مدحه للمقدام الشجاع الذي لا يهاب الموت، فأن عواقب الأيام، وصروف الدهر، مالها أمان في تغيير مصائر الناس وأمالها وغاياتهم رغما عنهم ، ودون ما يبتغون (6) . فأشار في صدر البيت الثاني ، الى المثل القائل (لكل زمان رجال)، وفي عجز البيت الثاني اشار الى المثل القائل (انه لألمعي) الذي جاء بصورة شعرية مضمنا المثل بما يلائم دلالة النص، المتمثلة بالقوة والمنعة .

فالرصافي كما مرَّ سابقاً كان ذا نفس تنضوي على كثير من المروءة والحنان والشفقة ، كان دائم التفكير في الطبقة الفقيرة المعدومة فتحول الشاعر الى ما يشبه البوق (7) ، للدفاع عن حقوق الفقراء والمساكين ونبذ الفوارق في المجتمع بين الاغنياء والفقراء، ومن ذلك قوله في الأغنياء والفقراء .

وبعض له أنف أشمُّ من الغنى
وبعض له أنف من الفقر أجدع
بحيث تسير الناس كلٌ لِوجهةٍ
فهذا على رِسل وذلك مُسرع (8)

وما من تثريب علينا ولا مناص اذا رددنا القول إلى أوله ، وربطنا الشعر بالأمثال التي استقى منها الشاعر معانيه ففي البيت الثاني يقتبس مثلاً معروفاً (منك انفك وان كان اجدع) (9) ، بعد اجراء التعديلات عليه بما يتناسب والبعد الفكري الذي بثه الشاعر في نصه، فاستلهم مضامينه موظفاً ألفاظه، وانزله في نصه الشعري ومستنسخاً منه ما يوافق موقفه الشعري، وتعميق موقفه الفكري (10) ، مع ما يلائم نظرته إلى الفوارق الطبقية التي أفرزتها السياسات الخاطئة للحكام، الذين ساسوا البلاد .

(1) ديوانه : 1 / 106 .
(2) ينظر : الرصافي ، حياته وادبه السياسي : 154 .
(3) مجمع الامثال : 2 / 202 .
(4) المصدر نفسه : 1 / 33 .
(5) ديوانه : 2 / 468 .
(6) ينظر : الرصافي حياته وادبه السياسي : 80 .
(7) ينظر : دراسات في الشعر العربي المعاصر : 66 .
(8) ديوانه : 1 / 100 .
(9) مجمع الامثال : 2 / 298 .
(10) ينظر : مظاهر التناص الديني في شعر احمد مطر : 63 .

والمتصفح لديوان الرصافي يرى إن الأمثال التي جاء بها لا تختلف الا الشيء اليسر، فجاءت معبرة عن حياة الانسان واحوال المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر ومعبرة عن حالته التي يصفها في كثير من امثاله ومن ذلك قوله يصف سمو نفسه وعفتها

لا تَشْكُ للناس يوماً عُسرة الحال
وأن أدامتك في همّ وبلبال
وجانب اليأس وأسلُك للرجا طُرُقاً
فالدهر ما بين أدبار وأقبال
وأركب على صَهَوات الجِدّ مغتربا
فيما تحاول ذا حلّ وترحال
وأطلب على عزّه بَيْض الأنوق ولا
تطلب لعمرك أن تَحظى بِمفضال
لك يَبق غير الذي غُلَّت أناملُه
إما بأغلال شُحّ أو بإقلال (1)

يتضح في البيت ما قبل الاخير انه حمل معنى المثل القائل ((أعز من بيض الأنوق)) (2)، فهو مثل يضرب به كناية عن سمو نفسه وعلو مقامه، فلا يطلب الاشياء من غير اصحابها ، ولا تطلب الذل والهوان ، واركب الصعب المستحيل للحصول على مرادك الذي تبتغيه ، فنفسه الابية تأبى الضيم والاستكانة والتذلل للناس لأجل الحصول على مبتغاه وغايته، ولعل الشاعر ضمن المثل بجميع اجزائه دون نقصان، او خلل في المثل او حذف، مشيراً إلى طلب الحاجة يجب ان يكون بعزة وكبرياء دون استجداء لأنه هنا قصد التحرك للسعي والعمل للحصول على مبتغاه دون التذلل في استعطاف الناس وطلب الحاجة منهم ، فتمكن الشاعر من استنطاق المثل المضمن في نصه الشعري، واستلهم مضامينه وافكاره ومفرداته ، فاستثمر تلك الصورة ورسمها باسلوبه الفريد ، ليعبر من خلاله عن مكانته العظيمة ومركزه المرموق في المجتمع .

التضمين التحويري

ونعني به اتيان الشاعر للمثل العربي والاستفادة منه بصورة تحويرية داخل نصه الشعري، ونلاحظ ان الرصافي رجع إلى الأمثال من خلال مقاطعه الشعرية مضمنا بعض الفاظها وتراكيبها بصورة تلميحية او جزء من المثل او عن طريق التقديم والتأخير لمفردات المثل(3) ، وفقاً لتحويلات جديده في النص الشعري، ولجأ الى الشرح والتفصيل والتحليل مضيفاً معاني الدقة والعمق ونوعاً من الروعة والحسن والفذلكة والتطوير، اذ عمد الشاعر الى الامثال واعاد توظيفها في البناء الشعري مغيراً إياها تغييراً ايدولوجياً او معنوياً او لفظياً لينهل منها في بناء نصوصه الشعرية، اذ استطاع الرصافي ان يفيد من الامثال في اثراء تصويره الفني، ولما لها من دلالة إيحائية كبيرة في مغزى بنائه الجديد ، وفق أليات تركيبية فنية، تجمل الدلالة نفسها باطار يتوافق ومقدرته الشعرية ومنحه بعداً دلالياً وعمقاً نصياً قادراً على التأثير في ذهنية المتلقي ، كما ان الشاعر استطاع من خلال مقدرته الشعرية الاستفادة بشكل كبير من الحكم والقصص الادبية ، وان يوظفها خير توظيف في بنائه الشعري، كما حاول استثمار احد الامثال العربية القديمة في التعبير عن الوضع الاجتماعي السائد في عصره عندما قال:

فإنّك لم يُنبِئك مثل مجرِّب
خبير ولم ينصحك مثل مُحنَّك

(1) ديوانه : 2 / 861 .

(2) مجمع الأمثال : 2/ 44 ، الانوق : هو ذكر الرخة والعرب تؤنثه وان كان اسما لذكر ، وهو من ابعد الطير وكرا في الهواء ، فلا تنال منها مهما بلغت بك الغايات لعلو مقامها وبعده عن الناس .

(3) ينظر : المثل في الشعر الاندلسي : 124 .

فهذا لعمر اللهّ رأيي فخُذ به.....ه

فقد فُزت منه بالجُذيل المُحكَّك [1]

حيث استقى ذلك من المثل العربي المشهور (انا جُذَليها المحكك وعُذيقها المرجّب) [2] ، وقد كان في الاصل قول للحباب بن المنذر ثم صار مثلاً يضرب لمن يُستشفى برايه ويعتمد عليه [3] .

وهكذا نجد أن الشاعر يستثمر الأمثال الدالة على القوة والقتال والمنعة ويستثمرها في مكانها الصحيح، ما يؤكد على شدة التواصل النفسي للشاعر مع التاريخ القديم واستثمار الطاقات التعبيرية فيه ، فهو بغية تحقيق التواصل المعنوي يستدعي المثل العربي (بلغ السيل الزبى)[4]، منتهزاً دلالته المعنوية حيث يضرب هذا المثل في بلوغ الامر غايته في الشدة والصعوبة مستثمراً دلالته في تشجيع ابناء قومه على العمل واللحاق بمن حولهم من البلدان المتطورة فقال حاثا قومه على القتال لرد مدينة (درنه) من الاحتلال الفرنسي :

أيَحُسن يا قوم أن نقعدا

وقد آن أن ينهض القاعدون

فسيُل المصائب غطّى الزُبى

وغيم النوائب قد طّبقا

وأوشكت الأرض أن تُقلبا

وصبح القيامة أن يُفلَقا [5]

فنراه يضمن المثل توظيفاً مناسباً مع الامر الذي اراد ايصاله الى الذين خاطبهم من ابناء جلدته، لان القعود لا خير فيه، حقه على عدم الاستسلام والضعف امام ضربات الاعداء، وما ارتكازه على لفظة (المصائب) الا ليصبح هناك مؤثر على نقد المجتمع الذي اخذت الامم الاخرى تتكالب عليه نتيجة للتفرقة والتفكك والضياع، وبذلك نجح في توصيف المعاناة التي ألمت بمدينة (درنه)، فالشاعر اخفى بعض مفردات المثل وجاء بألفاظ مختصرة فذكر كلمة (الزبى) للدلالة على الامر وشدته، فسيل المصائب عمت البلد من كل صوب، فاراد ان يشد عزيمة اهله للدفاع عن الوطن المستباح، وان يبين لأبناء قومه عظيم الامر وغايته، فاستطاع من خلال ذلك ان يكسب الابيات بهذه المفردات وضوحاً واشراقاً [6] ، ونلاحظ أن الشاعر يستدعي المثل العربي الفصيح ((قد بين الصبح لذي عينين)) [7] ، في قصيدته الغزلية التي يقول فيها :

نضت عن محيّاها النقاب عشيّةً

فأسفر صبح الحسن من كل جانب

ومذ نشرت سود الذوائب أولجت

نهار محيّاها ليل الذوائب [8]

يطالعنا الشاعر في هذين البيتين وقد استعمل المثل بصورة تضمينية في النص الشعري، فاخذ الفكرة التي في المثل وعرضها بشكل جميل مخاطباً المحبوبة، بانها كلما أماطت النقاب عن وجهها، كانه الصبح اذا بان من كل جانب، فيبصره الناس من كل مكان بعد شروق الشمس من غمد الليل الطويل[9] ، فتبصره كل عين فبان الامر والكشف لذي عينين، كذلك جمالها حين تميط النقاب عن وجهها، ولقد تجلت براعة الشاعر من خلال الامتصاص الشعري للمثل وطرقه بأسلوب جديد

(1) ديوانه : 1 / 214 .
(2) مجمع الامثال : 1/ 31 .
(3) نظر الالة والاداة ، معروف الرصافي : 77 .
(4) مجمع الامثال : 1 / 91 .
(5) ديوانه : 2 / 704 .
(6) ينظر : الدرة الفاخرة في الامثال : 89 .
(7) مجمع الامثال : 2 / 99 .
(8) ديوانه : 2 / 887 .
(9) ينظر : المثل في الشعر الاندلسي : 86 .

يقوم انتاجه في سياق رؤيته الخاصة، بحيث يبدو النص الجديد هو الذي يتكلم بلسان المثل القديم الذي ينطق عن تبيان الصبح وظهوره بشكل جلي، كذلك محبوبته اذا اماطت اللثام عن وجهها .

وقد يعمد الشاعر الى تضمين أبياته الحكمية، مثلاً من الامثال العربية، ليوضح من خلاله نظرة واقعية عمد الى طرحها ، تمثل تلك النظرة حصيلة تجربة توصل اليها الشاعر بعد طول حياة وخبرة، مقرباً تلك الصورة من خلال صورة اخرى يطرحها المثل (ان لم يكن لنا معلماً فدحرج) [1] ، مضمناً في شعره مجسداً من خلاله حال بغداد ايام الاحتلال الانكليزي وكيف وصلت البلاد الى هاوية السقوط، بسبب الجهل الذي خيم عليها هنا وهناك :

إن لم يكن شرف البلاد محصّناً
بالعلم كان مهدّد الأطراف
وإذا النفوس تسافلت من جهلها
لم يعلها شمم من الآناف [2]

لا شك ان الرصافي يكرس الابيات الانفة الذكر طاقات شعرية يبين من خلالها أهمية العلم في رفع الأمم ، فاذا خيم الجهل عليها رأيت أسودها نسخت قروداً، واشار الى ان الشعوب لا تستطيع النهوض اذا تفاخرت من غير علم، فلا ترتفع الاوطان من فراغ او برفع الانوف والتعالي على الاخرين دون شيء يذكر، دون الاكتراث بالعلم والعلماء، فالشاعر استعمل المثل اعلاه بشكل موجز سائر، ليس فيه اطناب او اسهاب، فاستلهم دلالته المعنوية المتمثلة بالتعالي على الاخرين دون علم مانع، وكما جاء في كتاب الجاحظ ((كفى بترك العلم إضاعة)) . [3]

وسلك الشاعر مسلك شعراء عصره في تضمينه الامثال وخاض في شتى الاغراض الشعرية، وكان من اهمها الوصف والهجاء، فكانت له أرائه الخاصة التي لم تعجب جمهرة الحاكمين، مما اوجب سخطهم عليه ، فقد وقف موقف المناوئ مما كان يشهده العراق من تفاوت طبقي واستغلال اجتماعي وظلم وتعسف وجور وكان يدعو الى الثورة على الحاكمين المستعبدين [4] ، فضمن المثل القائل (ان في الشر خيارا) [5] ، في شعره كما في قوله :

فأرهجوا الشرّ حتى أن هَبْوَتَه
مَدّت سُرادقها في اللوح مضروبا
راموا الصلاح وقد جاءوا بلائحة
خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا
قد كلّفوا شططا فيها حكومتهم
وخالفوا الحزم فيها والتجاريبا
خافوا التذبذُب في أعمال دولتهم
من أن يجُرّ على الأوطان تخريبا [6]

فجاء المثل في شعره بصورة تلميحية ، مستوحياً معناه ظاهراً من دون لفظه الصريح فالشر فيه خيار أحياناً ، وبعض الحكام فيهم الخير رغم شرهم، ففي هذا المشهد يدين شاعرنا طبيعة البشر الفاسدة والمهلكة ، ويفجر اقصى دلالات الرفض والذم والإدانة للحكام الذين يدعون الخير والصلاح لأوطانهم ، ولكنهم في الحقيقة غير ذلك فيهم الشر نفسه [7] .

ومن الامثال المضمنة تضميناً تحويرياً في شعره المثل القائل (ان من الحسن شقوه) [8] ، فقد اتفق

(1) مجمع الامثال : 1/ 74.
(2) ديوانه : 1 / 248 .
(3) ينظر البيان والتبين : 1 / 140 .
(4) ينظر : الشعراء العرب في القرن العشرين : 515 .
(5) مجمع الامثال : 1 / 11 .
(6) ديوانه : 2 / 591 .
(7) ينظر : الشعراء العرب في القرن العشرين : 516 .
(8) مجمع الامثال : 1 / 56 .

في المعنى واختلف في اللفظين اذ ضمن المثل في بيتين مختلفين باللفظ ومتفقين بالمعنى ، فبحذاقته وفطنته الشعرية وظف المثل خير توظيف في ابياته الشعرية فقال :

ومن ذي دلال رنّح الحسن عطفه
إلى أن رجا من حسنه عطفه الرفقا
وكم مسرح فيه الحسان تلاعبت
تمثّل كيف الناس تسعد أو تشقى
حسان علت في الحسن خَلقاً وخِلقةً
وهل خلقة تعلو إذا سفلت خلقا [1]

فالبيت الاول ضمن جزء من المثل (من حسن عطفه) [2] ، والبيت الثاني من المثل هو قوله (تشقى)، ففي معرض حديثه جعل الحسن شقوة حين ينظر الرجل الى صورته فيختال في نفسه ، فالحسن مرة يبغضه ومرة يشقيه فالوجوه الحسنة يرى بعضها شقياً وبعضها سعيداً .

وفي موضع اخر يضمن الرصافي أمثالاً تضمنت جوانب ايجابية وقيماً انسانية، كما في تناوله لشخصية (كعب بن مامة) التي اتخذها ركيزة للانطلاق منها إلى معنى الكرم والجود والايثار، منطلقاً من المثل القائل (أجود من كعب بن مامة) [3] ، في قوله :

أمير نَمَتْه للمكارم والعلا
جحاجح من كعب كرام المعارق
كذلك أعلى اللهّ في الناس كعبه
بحظّ من المجد المؤثّل فائق [4]

نلاحظ أن الرصافي يستثمر دلالات المثل في الايثار والكرم والجود من خلال مفردات (كعب، كرام ، المعرق) فشخصية كعب مشهورة بالكرم والجود والايثار، حتى انه هلك عطشاً في بعض اسفاره ليسقي رفيقه (النمري) فصار مثلاً يضرب به في الايثار والجود بالنفس .

وهكذا استطاع الرصافي من خلال مدلولات الكرم والإيثار، الاستفادة من معنى المثل دون الاشارة اليه من قريب والتغيير في الفاظه ومعانيه وتحويرها تحويراً كلياً واتيانه بصياغة جديدة تدعم تجربته الشعرية وتمنحه بعداً أخر ، يستطيع من خلاله الافصاح عن خلجات تجربته الشعرية ، ويعطي للقارئ مجالاً اوسع للكشف عن تجربته.[5]

واللافت للانتباه ان الرصافي يعيد صياغة الامثال في ابياته الشعرية صياغة جديدة يستطيع من خلالها رسم صورة فنية رائعة لما يدور من افكار ومعان إبداعية، وتوليد مساحات جديدة واسعة من نصه، وذلك عن طريق استغلال الطاقات البلاغية الكاملة داخل النص الادبي (المثل) وما يتضمنه من علاقات غنية ومكتنزة بالعطاء ، لها بكارة الخلق الاول [6] ، فنراه يضمن المثل القائل ((من نظر في العواقب سلم النوائب)) [7] ، فقد اوجز الشاعر في المثل وحذف منه بعض ألفاظه ليتواءم مع النص الشعري من خلال تثبيت مفرداته في ثنايا البيت ، مع احتفاظه بالمعنى العام للمثل من خلال قوله :

ولقد هانت النوائب فيه
إذ لبسنا الصبر الجميل شعارا [8]

فيشير الرصافي الى التحلي بالصبر الجميل واتخاذه شعاراً في الحياة ، لتجاوز النوائب الصعبة التي تعتريه في طريقه من اجل امانيه ورغباته، فمن

(1) ديوانه : 1 / 338 .
(2) ينظر المثل في الشعر الاندلسي : 129 .
(3) مجمع الامثال : 1 / 183 .
(4) ديوانه : 1 / 85 .
(5) ينظر : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : 192 .
(6) ينظر قراءات في الشعر العربي الحديث والقديم : 169 .
(7) المستطرف : 1 / 62 .
(8) ديوانه : 1 / 134 .

صبر ونظر في عواقب الامور هانت عليه المصائب والنوائب، فطعم الرصافي نصه الشعري بمفردات المثل ليتخذها شعراً له في حياته الدنيا، يتكئ عليها ايام المحن الصعبة التي تواجهه [1] .

يمضي الرصافي في تضمين نصوصه الشعرية الامثال تضميناً تلميحياً ومن تلك الامثال المضمنة المثل القائل (زرّ غبا تزدد حبا)[2]، فاستطاع الرصافي بالاستناد على معنى المثل الدال على صلة الرحم والعلاقة بين الاقارب، والحث على حسن اختيار الاوقات المناسبة للزيارة، (فالغب) هو ان تكون الزيارة متباعدة حتى لا يمل الشخص الزائر، ويستفاد من معنى المثل في توجيه الناس فقال شعراً :

زُر أيها الملك المحبوب موطنهم

ولو زيارة عجلان ومُجتاز [3]

يعكس الرصافي في هذا البيت نوعاً من الاجترار من المثل بطريقة الدلالة دون اللفظ، اذ اخذ المضمون، التباعد في الزيارة، فحث الملك على زيارة موطنه لو زيارة عجالة او مجتاز لمعرفة احوالهم، فظهر معنى المثل باتكائه على كلمة (زر عبا) فنقل جزءاً من المثل، وبناه بناء مغايراً في نصه الشعري، وهكذا يلتحم المثل مع بيته الشعري التحاماً مباشراً في المعنى ، ويصبح المثل جزءاً من تجربته.

وقد أستثمر الرصافي من المثل العربي مرجعيات كثيرة لإثراء نصه الشعري، ويستثمر من هذه المعاني غربته في وطنه وما اصابه من ظلم وحيف، نتيجة لمواقفه من الحكومة والساسة وعامة الناس جراء عمله السياسة، مما اوجب سخطهم عليه ، فقد كان يقف موقف المناوئ مما كان يشهده العراق من تفاوت طبقي واستغلال اجتماعي وظلم وتعسف.[4] ، ومن الملاحظ على اشعار الرصافي انه ضمن الامثال التي تكون قريبة من واقعه الذي يعيشه، مع اتيانه امثالاً جاهلية واسلامية، الا ان الكثير من تلك الامثال هي التي تكون وليدة واقعه ومتداولة بشكل كبير في حياة الناس، ولم يكن توجهه السابق وليد الصدفة ، وانما كان توجها واع ومقصود، فثقافته الواسعة واستيعابه للنصوص الدينية والتاريخية والادبية بطريقة تدل على قارئ ناقد، ومتلق باهر في أستثمار تلك الأفكار في نصوصه الشعرية.[5]

لقد تعامل الرصافي مع (المثل) بدقة وذكاء، وافاد من مفرداته التي ابدل بها غيرها ، ثم عاد صياغتها بحلة جديدة داخل نصه الشعري، صياغة توافق معناها في النص الاول (المثل) وفي نصوص اخرى للرصافي قد يأتي التضمين محوراً تحويراً كاملاً في الصياغة من ذلك قوله :

إذا دُفِع الشرُّ القبيحُ بمثله

تَحصَّل شرّ ثالث وتَوَلَّدا

وأمست دواعي الشرّ ذات تسَلسُل

مَديد وصار الشرّ في الناس سرمدا [6]

فقد تداخل النص الشعري مع المثل العربي (ما أشبه الليلة بالبارحة) [7] ، فالرصافي يوظف المثل القائل ان الشر متأصل بعضه مع بعض لا ينقطع عن سابقه ، ونظرته المتشائمة للحياة، جعلته ينظر بهذا المنظار القاتم وفق رؤاه التي خبرها في حياته

(1) ينظر التناص في شعر ابي العلاء المعري : 255 .

(2) مجمع الأمثال 1/ 322 ، والحديث للنبي محمد ﷺ فإن المصطفى قد قال ((زر غبا تزد حبا)) فتح الباري شرح صحيح البخاري : 10/ 499 .

(3) ديوانه : 2 / 602 .

(4) ينظر : الشعراء العرب في القرن العشرين : 515 .

(5) ينظر : معروف الرصافي ، حياته وادبه السياسي : 97.

(6) ديوانه : 1 / 122 .

(7) مجمع الامثال : 2/ 275 .

التي عاشها وهو يرى الظلم الذي اصاب العباد والبلاد، جراء الجهل والظلم والاضطهاد ، والذي نتج عنه انتشار الشر داخل المجتمع المحافظ الذي لا يعرف الظلم سابقاً، فاستلهم دلالة المثل في تساوي الناس في الشر والخديعة ، وخص البارحة لقربها منه ، فما اشبه ليلة البارحة في اللؤم ، فالناس كلهم شر اصلهم واحد ، لا يختلفون عن بعضهم الا قليل .

إن عملية الإحلال والإزاحة التي حصلت على صعيد الصياغة جاءت متلائمة مع سياق النص اللاحق في توجيه دلالته الوجهة الخاصة به، اذ نجد ان النص الشعري حمل دلالات الشر المتأصل في الناس ، فهو يمثل الهلاك والموت وهنا يظهر لنا إبداع الشاعر في قدرته على استثمار الصورة ودلالاتها التي يحملها النص، فجاء استعمال مفردات المثل منسجمة انسجاماً كاملاً وواضحاً مع النص الشعري، حيث أعطته بعداً أكثر وضوحاً وإثراء وخصوبة للنص الشعري، وانفتاحه على عوالم واسعة ومثيرة [1] .

وتختلف الألوان والطرق التي اتى بها الرصافي في تضمينه للأمثال ، ما يدل على امتلاكه ثروة لغوية هائلة ، وقدرة عالية على التلاعب بالتراكيب والالفاظ بما يخدم فكرته، فضلاً عن حمولاته المعرفية الكبيرة التي إنماز بها ، وحنكته في سبك ابياته الشعرية، ونلاحظ ذلك في حديثه عن شعره والدفاع عنه والعناية بصياغته وقوة تأثيره ، يقول :

لذاك جعلت الحق نصب مقاصدي
وصيّرت سرّ الرأي في أمره جهرا
وجرّدت شعري من ثياب ريائه
فلم أكْسُه إلا معانَيه الغُرّا [2]

(1) ينظر : الشعراء العرب في القرن العشرين : 515 .
(2) ديوانه : 1 / 88 .

لقد استثمر الرصافي المثل القائل (جعلته نصب عيني) [3] ، مستثمراً اياه استثماراً يختلف عن الفاظ المثل الاول في تغيير الفاظه لتتماشي مع وزن البيت الشعري، فجعل الشعر جل اهتمامه ومقاصده ، وانكب على صياغته والعناية به، وترك الغفلة والسهو في نظمه ، كي لا يفوته منه شيء من اركانه، ويكون دائما في يقظة حتى يتقي الشبهات في شعره، فاستطاع الشاعر بناء بيته الشعري وفق رؤيته وموقفه النفسي الذي وسع تطلعاته، فاستطاع الشاعر الانفتاح على التراث العربي ابتغاء منه في إضاءة الحاضر بالماضي المثقل بالحمولات المعرفية، والتجارب الانسانية، والصور البلاغية الناصعة، التي تعطي العمل الادبي بعداً متجدداً واكثر التحاماً.

ومن الملاحظ أن الشاعر الرصافي أستخدم أسلوب البساطة والتسهيل في اشعاره، مبتعداً عن الألفاظ الخشنة المتكلفة التي يمجها الذوق السليم، فاستطاع من خلال ذلك تجسيد الصورة الشعرية، بهذا الأسلوب الرائع الذي نزل به الى عامة الناس ، فيفهمه الاديب وغير الاديب كما في قوله :

إن للعلم في حروب بني العصر
ـــر لَيأساً يفوق بأس الحديد
إذ بدا بأسه الأشدّ فأنسى
كل بأس من الحديد شديد [4]

يستدعى الشاعر المثل القائل ((ان الحديد بالحديد يفلح)) [5] ، ورسم لنا من خلال استجابته للمثل ، واستعمله في تشجيع قومه على العلم والقوة بالحديد ، وتأكيده على أن الحق لا يؤخذ الا

(3) مجمع الامثال : 1 / 163 ، جمهرة الأمثال ، للعسكري: 1 / 297 .
(4) ديوانه : 2 / 642 .
(5) مجمع الامثال : 1 / 11 .

بالقـوة والعلـم والمنعـة .

ومـن الألفـاظ والمعـاني السـهلة التـي أعتمـد عليهـا الشـاعر في اسـلوبه وقربـه مـن افـكار النـاس والمجتمـع اعتـماده عـلى المثـل الـدارج بـين العامـة ((بـكاء التماسـيح)) في قولـه :

من ليـس يُبْكيـه من أبنـاء جِلدتـه

فكاؤهـم فهو من جنس التماسيح [1]

فينـوع الرصـافي في توظيفـه للمعـاني مـن الأمثـال، فعندمـا تحـدث عـن الأرملـة المسـكينة مـن عامـة الناس ومـا اصابهـا مـن الجـوع والضنـك وشـطف العيـش، ولا تجـد نصـيراً لهـا يؤويهـا ويرحمهـا اومـأ إلى هـذا المثـل مـن دون الفـاظ متكلفـة أو صعبـة الفهـم لكـي يحقـق مبتغـاه وتوصلـه بسـهولة لعامـة النـاس، وان بـكاء بعـض النـاس عليهـا هـو بـكاء التماسـيح .

إن تضمينـات الرصـافي المثـل في أبياتـه لهـا أهميـة كبـيرة في شـعره ، فلـم يكـن اقحامـه للمثـل بصـورة عشـوائية ، وانـما تصبـح اللغـة مسـاحة واسـعة مـن الـدلالات والمعـاني اللامتناهيـة لتشـمل مفـردات المثـل العـربي وتسـتوعبه اسـتيعاباً تامـاً ، فلـما أعـدم الضبـاط الاربعـة ، نظـم الرصـافي قصيـدة تعـدُّ مـن غـرر القصائـد عنوانهـا ((الافـول المشرق)) [2] ، وفيهـا صـب جـام غضبـه وسـخطه عـلى الذيـن غيبـت اجسـادهم تحـت الثـرى ، ظلـما وبهتانـاً وزورا يقـول :

أيّهـا الأنـجـــم التي قـــد رأينـا

عبراً فـــي أفـــولها كالشمـوس

شنقوكـم ليـلاً علـى غير مـهـل

ثـمّ دسّـوا جسومكـم في الرمـوس

فـي سبيل الأوطـان متّـم ففزتـــم

بأجـــلّ التحميـد والتقـديـــس

إن يومـــاً بـــه نـعيتـم إلينـا

يوم بؤس كيوم حـرب البسـوس

قد حكاهـا طـولاً وشؤمـاً وبغيـاً

وتلظّـى بحـرّ نـار الـمجـوس [3]

فالشـاعر اسـتعان بالمثـل القائـل ((اشـأم مـن ناقـة البسـوس)) [4] ، فاتخـذت العـرب هـذا المثـل رمـزاً للشـؤم والخـراب والدمـار، فالشـاعر أسـس عـلى هـذا المثـل ليبـدي مـدى الشـؤم الـذي أصـاب النـاس بعـد مقتلهـم .

وتميـز الرصـافي في بعـض الاحيـان في تضمينـه الامثـال عـلى الدلالـة الايحائيـة للمثـل مـع حـذف جميـع اجـزاء المثـل، سـوى قرينـة دالـة عليـه ، فقـد اسـتوعب المثـل العـربي وتشربـه، ثـم اعـاد بنـاءه بسـياق لغـوي جديـد للتعبـير عـن المعنـى نفسـه بأسـلوب شـعري مختلـف عـن الاول، وملائمـة الحالـة التـي يريـد ان يعرضهـا الشـاعر مـن ذلـك قولـه :

يا منظـراً أضحـك ثغر الدجـى

ورد سـحـبـــان إلـــى بـاقـــل [5]

فقـد اسـتثمر الرصـافي مـداولات مثلـين داخـل النـص الشـعري، تصـور حالـة المجتمـع ومـا تحـول اليـه مـن ظلـم النـاس وعـدم انزالهـم منازلهـم الصحيحـة ، حتـى أصبـح (سـحبان وائـل) وهـو مـن الفصحـاء العـرب وداهيتهـم في الـكلام الى (باقـل) اشـارة الى جهالـة (باقـل) وعـدم قدرتـه عـلى الـكلام وصعوبـة نطقـه في الـكلام ، فأشـار الى المثلـين المختلفـين داخـل نصـه الشـعري في عجـز البيـت الواحـد، وهـما ((أخطب مـن سـحبان وائـل)) [6] ، و ((أعيـا مـن باقـل)) [7] ، فقـد تحـول سـحبان الى باقـل ، فشـكل محـاور قصديتـه التناقـض في الشـخصية ، فكانـت دلالـة التضمـين في

(1) ديوانه : 1 / 316 .
(2) ينظر : معرف الرصافي ، حياته وادبه السياسي : 190 .
(3) ديوانه : 1 / 418 .
(4) ينظر مجمع الامثال : 1 / 390 .
(5) ديوانه : 1 / 384 .
(6) مجمع الأمثال : 1 / 249 .
(7) المصدر نفسه : 2 / 43 .

قول الشاعر دلالة ايحائية أفادتا القرينة الدالة عليه.

وانطلاقاً مما سبق يتضح ان الرصافي كان واضحاً ومميزاً في شعره وتضمينه للأمثال شكل رافداً ينهل منه ويفيض عليه من افكاره ومعانيه الشيء الكثير ، فالأمثال تعد من أنجح الوسائل التعبيرية ، لما فيها من الفاظ وعبارات مكتنزة بالمفاهيم والقصص ، والحكم التي تؤثر في المجتمع بشكل مباشر ، لسهولة حفظها من الذهن البشري ومداومة تذكرها ، وكل ذلك يسهل مهمة الشاعر في تضمينه للأمثال والاستفادة منها وقدرته على التواصل معها واستدعائه لأفكارها ومعانيها ، ليؤسس منها موقفاً يوقظ المتلقي ويؤدي الى زيادة تفكيره . (1)

الخاتمة

إن تضمين الأمثال للشعر يشكل رافداً مهماً للشاعر ، إذ جعل شعره يزخر بالمعاني والصور الشعرية ، والمعاني الرحبة ، فكانت الامثال العربية مبعثاً الدلالات الموحية والمكتنزة والرموز الخصبة، ولما تحمله من طاقات وحمولات معرفية ترفد التجربة الشعرية .

لقد وجد الباحث براعة الشاعر في تضمينه للأمثال ، حيث كانت تضميناته متواشجة ودالة على المعاني الشعرية ، وتؤدي اهدافها واغراضها بدقة وانسجام وعمق التأثير ، وتبدو أحياناً ، وكأنها جزء حقيقي من القصيدة الحديثة .

لقد سجلت الأمثال التوجيهية والإرشادية في شعر الرصافي حضوراً واضحاً ، وبنسبة أكثر من بقية الأمثال الأخرى ، لأن الأمثال اصدق في وصف أخلاق الأمة وتفكيرها وعادتها ، فهي تصور المجتمع وشعوره ، وتعكس ضروب الحياة ، وفنونها السياسية، والثقافية ، والاجتماعية .

لم يتوان الرصافي في تحوير معاني الأمثال إلى معان ذات دلالات دنيوية كالمديح والهجاء مثلاً ، وذلك ضمن آلية التحويل من خلال ايجاد اوجه الشبه بين الفكرة الدينية والفكرة الدنيوية بما ينسجم مع مضمون النص الجديد .

تبين ان الرصافي في تضمينه للأمثال ، اتخذ في ذلك مسلكين مميزين الاول : ان تأتي بالمثل دون تغيير في ألفاظه ومعانيه ويقحمه داخل النص الشعري دون تغيير ، اما الطريقة الثانية : كان يدور حول المثل ولا يأخذ سوى الفكرة ويجعلها منطلقاً مركزياً ينطلق منه لبناء نصه الشعري بألفاظ تختلف اختلافاً جذرياً عن الفاظ المثل وتراكيبه .

سجل البحث عناية الرصافي بالشرح والتفصيل والتحليل مضيفاً معاني الدقة ونوعاً من الروعة والحسن والفذلكة والتطوير مع مسحة تشاؤمية قليلة في شعره ، بأشكال منوعة مع نصوص شعرية بعينها لا سيما تلك التي تحظى بالقيمة الفنية العالية .

لم يكن تضمين الرصافي للأمثال منحصراً عند حدود الأمثال الجاهلية بل تعداها الى الأمثال الإسلامية ، والعامية ، والحِكم ، وقد وجدنا في نتاج شعره ما يمثل ذلك ، على ان انسياب الأمثال الجاهلية في شعره كان أكثر من انسياب الأمثال الإسلامية فيه .

لم يكن توظيف الأمثال مما ابتدعه الشعراء المعاصرون ، اذ عثرنا على ارهاصات له في الشعر الجاهلي وتطور بعض الشيء في الشعر الاسلامي والاموي واوجد له مكاناً في الشعر العباسي ولا سيما شعر المتنبي والمعري وابي فراس الحمداني وغيرهم ، غير ان توظيفه في العصر الحديث كان اكثر تنوعاً وفنية وسعة وكثرة .

(1) ينظر : مملكة الأصوات ومرآة الفتوحات : 184 .

المصادر

- القران الكريم .
- احمد شوقي ، امير الشعراء ، ج1 ، ايليا الحاوي ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1980 م .
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1997 م .
- الآلة والأداة وما يتبعها من الملابس والمرافق والهنات تأليف معروف الرصافي، تحقيق عبدالحميد الرشودي وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، 1980.
- الامثال البغدادية ، جلال الدين الحنفي ، بغداد ، 1962.
- الأمثال في القرآن الكريم، تأليف : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم محمد ، دار النشر : مكتبة الصحابة ، ط1، طنطا ، مصر ، 1406.
- البيان والتبين : تأليف ، الجاحظ ، تحقيق: فوزي عطوي ، دار النشر: دار صعب – بيروت.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: الدكتور محمود عكاشة، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1426هـ – 2005 م .
- التعبير النفسي في الامثال ، يوسف عز الدين ، مصر ، القاهرة ، ط 2 ، 1992 .
- التناص في شعر ابي العلاء المعري ، ابراهيم مصطفى محمد الهون ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الاردن ، مطبعة حلاوة ، 2011 م .
- جمهرة الأمثال، تأليف: الشيخ الأديب أبو هلال العسكري، دار النشر: دار الفكر- بيروت – 1408هـ- 1988م.
- الخصائص البنيوية للمثل الشعبي ، محمد السموري، بحث منشور ، مجلة البوان ، ع6 ، دمشق ، سوريا ، 2006 .
- دراسات في الشعر العربي المعاصر ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط7 ، 1979 م .
- الدرة الفاخرة في الامثال ، عبد المجيد فطاش ، دار المعارف ، القاهرة ، 1971 م .
- ديوان الرصافي : تاليف معروف الرصافي ، مراجعة مصطفى الغلاييني، موسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ، القاهرة ، 2012 م .
- الشعراء العرب في القرن العشرين ، حياتهم شعرهم اثارهم ، عبد الروضان ، ط1 ، الاهلية للنشر والتوزيع، وسط البلد ، الاردن ، 2005 م.
- علم اللغة للقارئ العربي ، محمود السعران ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط5 ، عالم الكتب ، مصر ، 1993 .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار النشر: دار المعرفة- بيروت.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، تأليف : البكري .
- قراءات في الشعر العربي الحديث والقديم ، هاني نصر الله ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، 2011 م .
- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر ،ط1، بيروت .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تأليف: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار النشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ،1995م .
- المثل في الشعر الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، بشار خلف عبود ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة الانبار ، 2004 .
- مجمع الأمثال، تأليف: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار النشر: دار المعرفة – بيروت .

- المزهر في علوم اللغة وانواعها : جمال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ) ، شرح وتعليق محمد احمد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي وشركاه ، مصر ، د. ت .
- المستطرف في كل فن مستظرف مجلدين، تأليف: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، دار النشر: دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1406هـ - 1986م .
- مظاهر التناص الديني في شعر احمد مطر ، سليمان عبد المنعم فارس ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2005 م .
- معروف الرصافي ، حياته وادبه السياسي ، رؤوف الواعظ ، دار الكتاب العربي ، مصر ، 1961 .
- مقارنة دلالية بين الامثال العربية والأمثال العامية، علاء إسماعيل الحمزاوي ، كلية الآداب ، جامعة الامينا ، ط1 ، مصر ، القاهرة ، 1997 .
- مملكة الأصوات ومرآة الفتوحات ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مجلد 3 ، ع1 ، 2001 م .
- المُنَجَّد في اللغة : ابي الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع (ت 310 هـ) ، تحقيق : د. احمد مختار عمر ، د. ضاحي عبد الباقي ، عالم الكتب القاهرة ، ط2 ، 1988 م .